

من نوادر وطرائف العرب

ذَكَاءُ الْقَاضِي

بقلم : ا. عبد الحميد عبد المقصود
بريشة : ا. عبد الشافي سيد
إشراف : ا. حمدي مصطفى

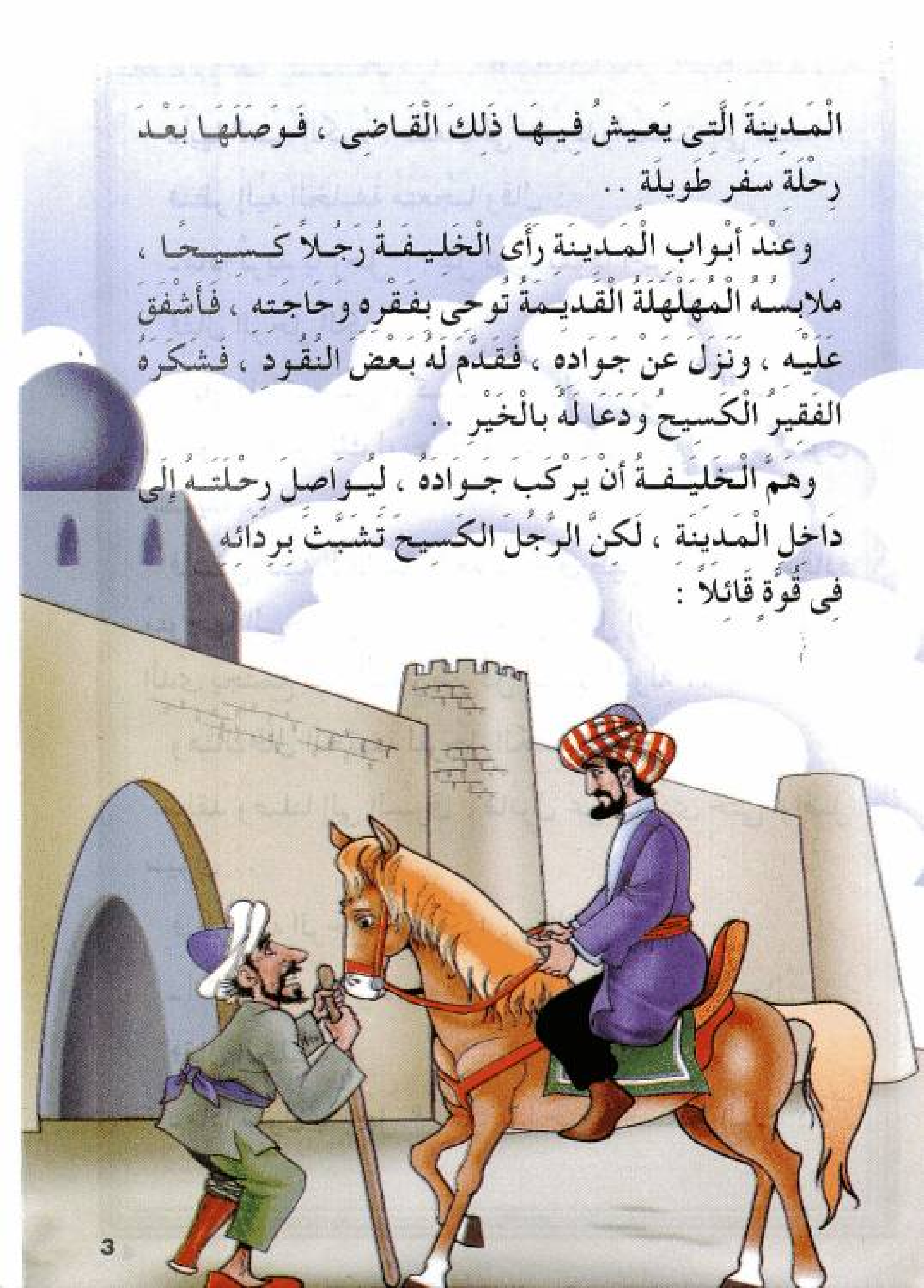
طبع ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

ذَاتَ يَوْمٍ سَمِعَ أَحَدُ الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ ، أَنَّهُ يُوجَدُ فِى دَوْلَةٍ مِنْ دُوَلِ الْخِلافَةِ قَاضٍ عَادِلٌ ، أَقَرَّ الْعَدْلَ بِذَكَائِهِ وَفِطْنَتِهِ وَقُوَّةِ مُلاحَظَتِهِ ،وَلِذَلِكَ فَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمَيِّزَ الْحَقِيقَةَ وَيَتَعَرَّفَ الْجَانِى وَالْمَجْنِىَّ عَلَيْهِ ، حَتَّى لَوْ كَانَتِ الْحَقِيقَةُ خَافِيَةً ، أَوْ كَانَ أَحَدُ الْخَصْمَيْنِ يَمْلِكُ حُجَّةً أَقْوَى مِنَ الآخَرِ . .

وَقَدْ شَوَّقَ ذَلِكَ الْخَلِيفَةَ ، فَقَرَّرَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى ذَلِكَ الْقَاضِى ، حَتَّى يَتَحَقَّقَ بِنَفْسِهِ مِنْ صِحَّةِ مَا يُشَاعُ عَنْ عَدْلِهِ وَذَكَائِهِ . .

تَنَكَّرَ الْخَلِيفَةُ فِى زِىِّ تَاجِرٍ عَرَبِىٍّ وَرَكِبَ جَوَادَهُ قَاصِدًا





الْمَدِينَةَ الَّتِي يَعِيشُ فِيهَا ذَلِكَ الْقَاضِي ، فَوَصَلَهَا بَعْدَ رِحْلَةِ سَفَرٍ طَوِيلَةٍ ..

وَعِنْدَ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ رَأَى الْخَلِيفَةُ رَجُلاً كَسِيحًا ، مَلابِسُهُ الْمُهَلْهَلَةُ الْقَدِيمَةُ تُوحِي بِفَقْرِهِ وَحَاجَتِهِ ، فَأَشْفَقَ عَلَيْهِ ، وَنَزَلَ عَنْ جَوَادِهِ ، فَقَدَّمَ لَهُ بَعْضَ النُّقُودِ ، فَشَكَرَهُ الْفَقِيرُ الْكَسِيحُ وَدَعَا لَهُ بِالْخَيْرِ ..

وَهَمَّ الْخَلِيفَةُ أَنْ يَرْكَبَ جَوَادَهُ ، لِيُوَاصِلَ رِحْلَتَهُ إِلَى دَاخِلِ الْمَدِينَةِ ، لَكِنَّ الرَّجُلَ الْكَسِيحَ تَشَبَّثَ بِرِدَائِهِ فِي قُوَّةٍ قَائِلاً :

ـ أيُّها السَّيِّدُ الْكَرِيمُ ، صَنَعْتَ فِيَّ مَعْرُوفًا وأَحْسَنْتَ إِلَيَّ فأَتِمَّهُ ..

فَنَظَرَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ مُتَعَجِّبًا وقَالَ :

ـ مَاذَا تُرِيدُ يا رَجُلُ ؟! هلْ تُرِيدُ نُقُودًا أُخْرَى ؟!

فَقَالَ الرجُلُ الكَسِيحُ :

ـ أنا رَجُلٌ كَسِيحٌ ، كَمَا تَرَى ولا أَقْدِرُ على السَّيْرِ .. سَأَكُونُ شَاكِرًا لكَ لَوْ حَمَلْتَنِي فوقَ ظَهْرِ جَوَادِكَ إِلى سُوقِ الْمَدِينَةِ ..

فأَشْفَقَ عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ وأَجْلَسَهُ فوقَ ظَهْرِ الْجَوادِ ، ثُمَّ قَادَهُ مُتَوَجِّهًا إِلى دَاخِلِ الْمَدِينَةِ ، حَتَّى وَصَلَ إِلى السُّوقِ الكَبِيرِ الَّذِي يَجْتَمِعُ فِيهِ التُّجَّارُ مِنْ كُلِّ أَنْحَاءِ الدَّوْلَةِ ..

وهُنَاكَ قَالَ الْخَلِيفَةُ لِلرَّجُلِ الكَسِيحِ :

ـ لَقَدْ وَصَلْنَا إِلى السُّوقِ ، فانْزِلْ عَنْ جَوَادِي حَتَّى أُوَاصِلَ سَيْرِي ..

فَنَظَرَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ مُسْتَنْكِرًا ، وقَالَ :

ـ أنَا أَنْزِلُ عَنْ جَوَادِي وأَتْرُكُهُ لَكَ ؟! مُحَالٌ .. مُحَالٌ ..

فقَالَ الْخَلِيفَةُ :

ـ مَاذَا تَقُولُ يا رَجُلُ ؟! هَلْ هَذَا جَزَاءُ إِحْسَانِي إِلَيْكَ ؟!

هَيَّا انْزِلْ عَنْ جَوَادى ..

فصَاحَ الرَّجُلُ الكَسِيحُ بأعْلَى صوْته ليُسْمِعَ النَّاسَ :

- أنَا صَاحِبُ الْجَوَاد .. اشْهَدُوا يا نَاسُ .. هَذَا الرَّجُلُ يُرِيدُ أنْ يَسْتَغِلَّ ضَعْفِى لِيَسْرِقَ جوادى ..

وتَجمَّعَ النَّاسُ حَوْلَهُمَا ، وأَخَذُوا يَلُومُونَ الْخَليفَةَ ، الَّذى بَدَا من وجْهَةِ نَظَرِهِم لِصًّا يُحَاوِلُ أنْ يَسْتَغِلَّ قُوَّتَه ضد ذَلكَ الْمِسْكِينِ ، لِيَسْرِقَ جَوَادَهُ ، وعَبَثًا حَاوَلَ الْخَلِيفَةُ



أنْ يفْـهـمـهم أنَّه صَاحب الْجـواد ، ويقْـسم لَهُمْ بأغْلظ الأيْمان أنَّ الْجواد جواده ، فسخر منه أحدهم قائلا :

ـ كُلُّ اللُّصُوص يقْـسمُون مثْلك هكَذَا ، وفى النّهاية يثْبتُ أنّهم لُصوص ..

وبرغْم ذلك تمالك الْخليفةُ نفْسهُ ، وتقدّم أحدُ الْحاضرين قائلا :

ـ إذَا كُنْتُما مُخْتلفين علَى الْجواد ، فاذْهبا إلَى الْقَاضى ..

هُو وحْدهُ الّذى يسْتطيعُ الْفصْل فى هذه الْقضيّة ، وتحْديد صاحب الْجواد الْحقيقىّ ..

فقال الْخليفةُ :

ـ أنَا مُوافقٌ علَى الذّهاب إلَى الْقَاضى .. دُلُّونى عليْه ..

وقال الكسيحُ فى تبجُّح :

ـ وأنا سأذْهبُ إليْه ، ليُعيد لى جوادى الّذى يُحاولُ ذلك الرّجُلُ سرقَتهُ منّى ..

قاد الْخليفةُ الْجواد والْكسيحُ راكبٌ خلْفهُ .. وعنْد نهاية السُّوق شاهد الْخليفةُ بائع سمن يقْبضُ علَى يد أحد الزّبائن ، ويدُ الزّبُون مليئةٌ بالنُّقُود ، وهو يصْرُخُ مُتألّما ، وقدْ تجمّع حوْلهما النّاسُ :

- آه .. آه .. اتركْ يدى .. إنَّكَ تؤْلمُنى ..

فَيردُّ عليْه السَّمَّانُ معنِّفًا :

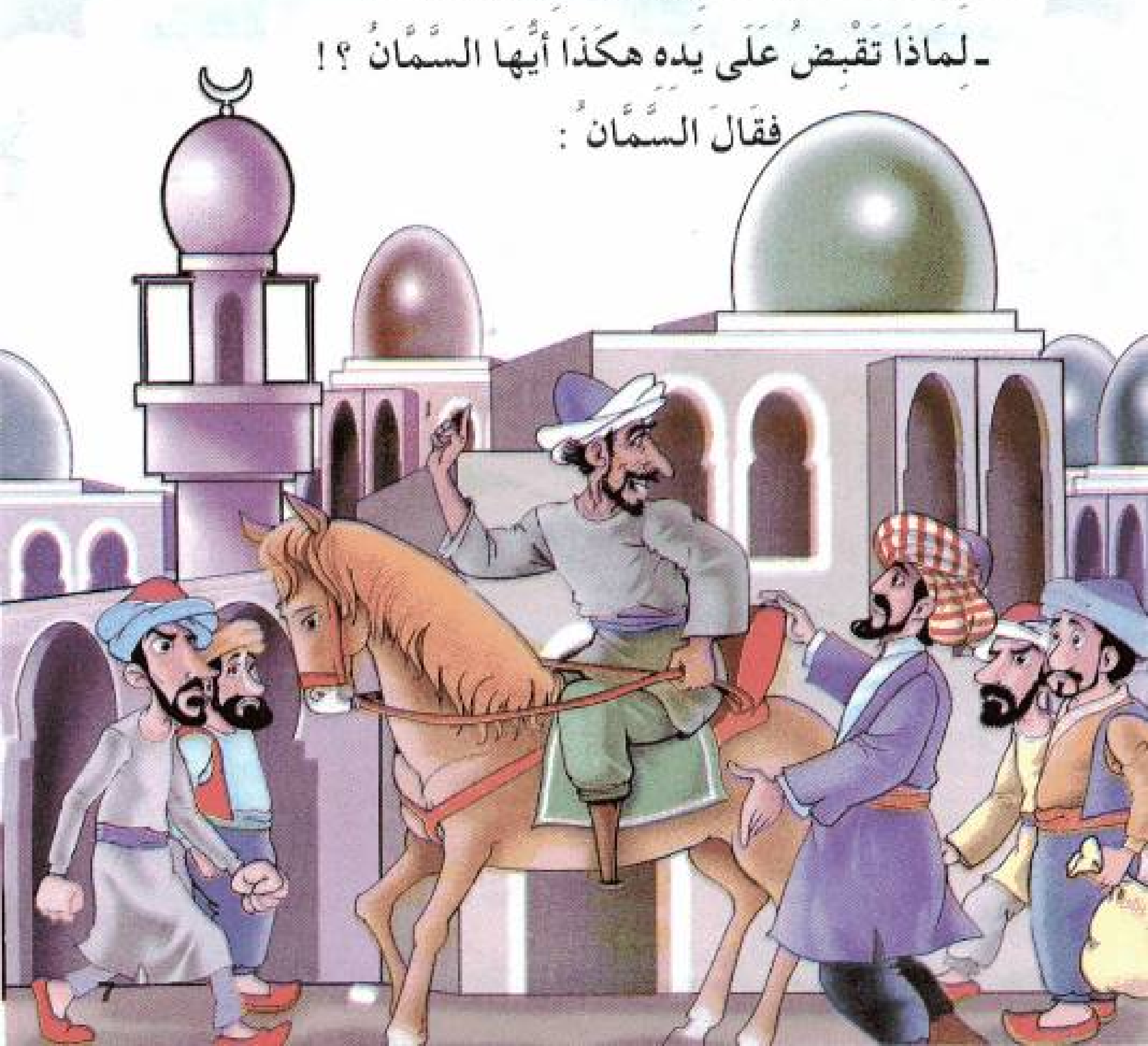
- لَنْ أتْركُ يدكَ أيُّهَا اللِّصُّ ، حتَّى تُعيدَ إلَى نُقُودى ..

فيَصْرخُ الزُّبونُ متألِّما :

- بلْ هى نُقُودى ، لَنْ أتْركُ يدكَ حتَّى تُعيدَهَا إلَىَّ أوْ أكْسرَهَا .. فقالَ الْخليفةُ مُخاطبًا السَّمَّانَ :

- لِماذَا تقْبضُ علَى يدِه هكَذَا أيُّهَا السَّمَّانُ ؟!

فقالَ السَّمَّانُ :



ـ لَقَدْ جاءَ هذا الرَّجلُ ، ليَشترى منى سمنًا ، فَملأْتُ لَهُ ذلكَ الإبْريقَ .. ثمَّ طَلبَ منِّي أنْ أفُكَّ لَهُ قطْعَةً ذهبيَّةً من ذَاتِ العشَرة دَنانير ، فأفْرغْتُ كيس نقُودى لأعُدَّ له الباقى ، فَخَطَفَ نُقُودى وأرادَ الْهربَ بِها ، لَكنَّنى أمسكْتُ بيده ..

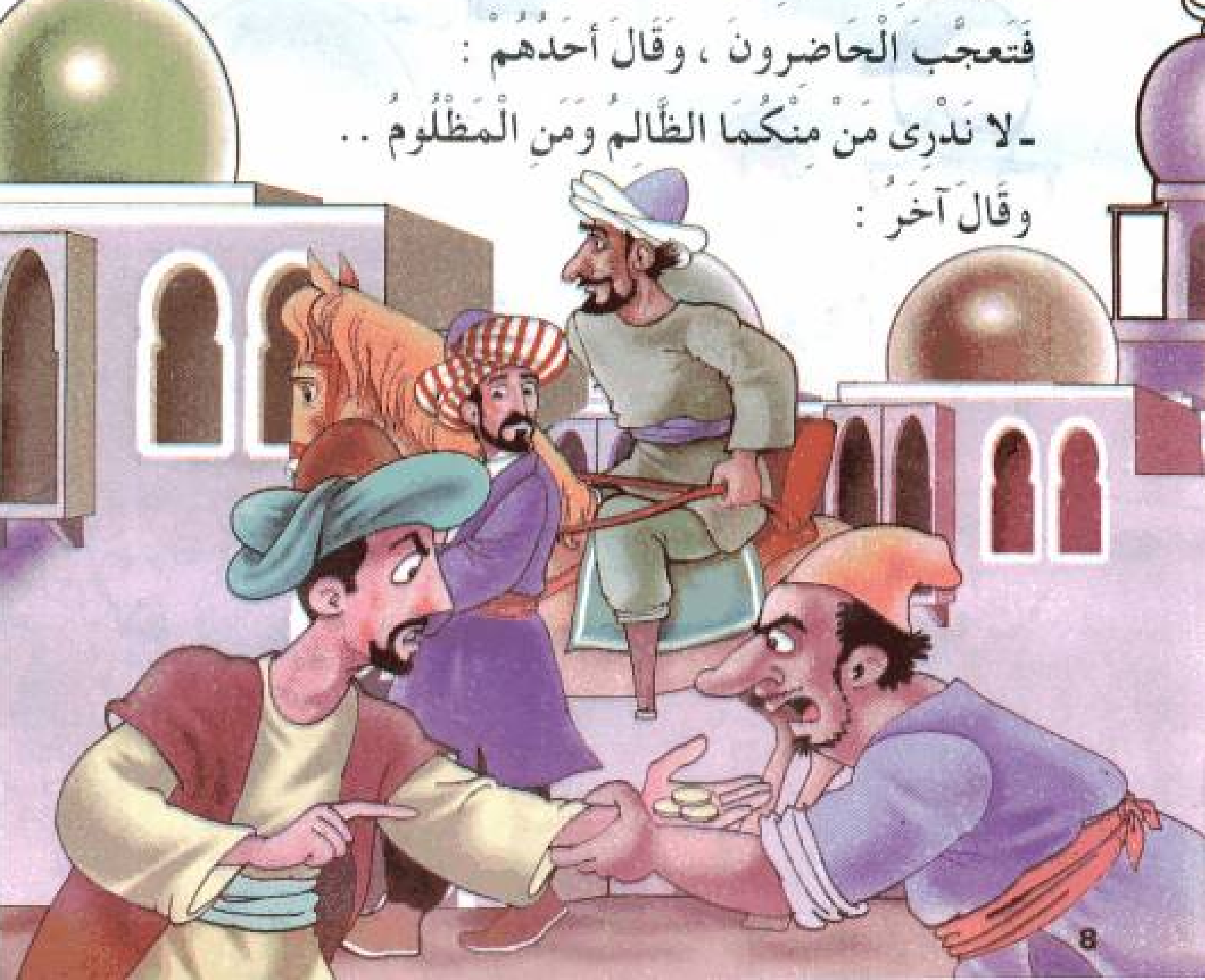
فقَالَ الزَّبُونُ :

ـ لا تُصَدِّقُوهُ ، بَلْ أنا الَّذى أخْرجْتُ كيسَ نقُودى وأفْرغْتُهُ في يدى لأدْفعَ له ثمنَ السَّمْنِ ، فأمْسَكَ بيدى مُحاولاً سرقَةَ نقودى ..

فَتَعجَّبَ الْحاضرونَ ، وقَالَ أحَدُهم :

ـ لا نَدْرى منْ منكُما الظَّالمُ ومنِ الْمظْلُومُ ..

وقَالَ آخَرُ :



ـ مِنَ الأَفْضَلِ أنْ تَذْهَبَا إلى الْقَاضِي هَارُونَ ، لِيَحْكُمَ بَيْنَكُمَا فِي هذه الْقَضِيَّةِ الْمُحيِّرة ..

وقَالَ الْخَليفَةُ :

ـ نَحْنُ ذَاهِبَانِ إلى الْقَاضي .. تَعَالَيَا مَعَنَا ..

وسَارَ الأَرْبَعَةُ قَاصدِينَ دِيوَانَ الْقَاضي الْعَادلِ ، فَدَخَلُوا إلَى الْفِنَاءِ ، حَيْثُ يَنتظِرُ الْمُتَخَاصِمُونَ دَوْرَهُمْ لِلدُّخُولِ عَلَى الْقَاضِي ..



وهناكَ شَاهدَ الْخليفَةُ فَلاَّحا وأَحدَ الْعُلماءِ يقفان فى انْتظَارِ الدُّخُولِ علَى الْقَاضى ومعَهُمَا جاريَةٌ ، وكُلٌّ من الْعَالمِ والْفلاَّحِ يدَّعى أَنَّ الْجارِيةَ ملْكُهُ ، وأَنَّهُ قَدْ اشْتَراها من حرِّ ماله ، فتعجَّب الْخليفَةُ فى نفسه قَائلاً :

ـ هَذه ثلاثُ قَضَايا مُعقَّدَةٌ ، كُلٌّ منْها أَصْعبُ من الأُخْريينِ .. ترى كيْف سيتمكَّنُ ذلك الْقَاضى المسْكينَ من الفصْلِ فيها ؟! وهلْ حقًا سيقْضى فيها بالْعدْلِ .كما يُشاعُ عنهُ فى أَنْحاءِ دوْلَةِ الْخلافَةِ ؟!

وفى هذه اللَّحْظَةِ ظَهرَ الْحَاجبُ منْ ديوانِ الْقَاضى مطلاً على الْفناءِ ،ونادى قائلاً :

ـ كُلٌّ منْ لهُ شكْوى أَوْ مظْلمَةٌ ، فلْيتقدَّمْ إِلَى ديوانِ الْقَاضى ..

فسارَعَ الْعَالمُ والفلاحُ بالدُّخُولِ إِلَى ديوانِ الْقَاضى ومعَهُمَا الْجارِيةُ .. ثُمَّ تبعهُمُ السَّمَّانُ قَابضًا علَى يد الزبُونِ والنُّقُودُ فيها .. وأَخيرًا دخلَ الْخليفَةُ والشَّحَّاذُ الْكَسيحُ ..

نظَرَ الْقَاضى إِلَى السَّمَّانِ فى دهْشَة قَائلاً :

ـ لماذَا تقْبضُ على يد ذلك الرَّجُلِ هكَذَا ؟!



فَحكَى لهُ السَّمَّانُ قصتَهُ ، كمَا حكَاهَا للْخليفَة منْ قَبلُ ..
وحَاولَ الزبُونُ الاعْتراض ، فَطلَبَ منهُ القَاضِى أنْ يسْكُتَ
حَتَّى يطْلُبَ منهُ الْكَلام ..

فلَمَّا انْتهى السَّمَّانُ منْ قصتهِ سألهُ الْقَاضِى قَائلاً :

- هَل لَديْكَ شُهُودٌ علَى صِدقِ ما تَدَّعِى ؟

فقَالَ السَّمَّانُ :

- وهَلْ بَعْدَ أنْ أُمْسكَ بهِ مُتلبِّساً بالسَّرقَة أَحْتَاجُ شُهُوداً ؟!

وهُنا طَلبَ القَاضِى منَ الزَّبونِ أنْ يَحْكِىَ حكَايَتهُ ، فحكَاها لهُ ،

كَمَا سَمِعَهَا مِنْهُ الْخَلِيفَةُ مِنْ قَبْلُ ، فَسَأَلَهُ الْقَاضِي قَائِلاً :

ـ هَلْ لَدَيْكَ شُهُودٌ عَلَى صِدْقِ مَا تَقُولُ ؟

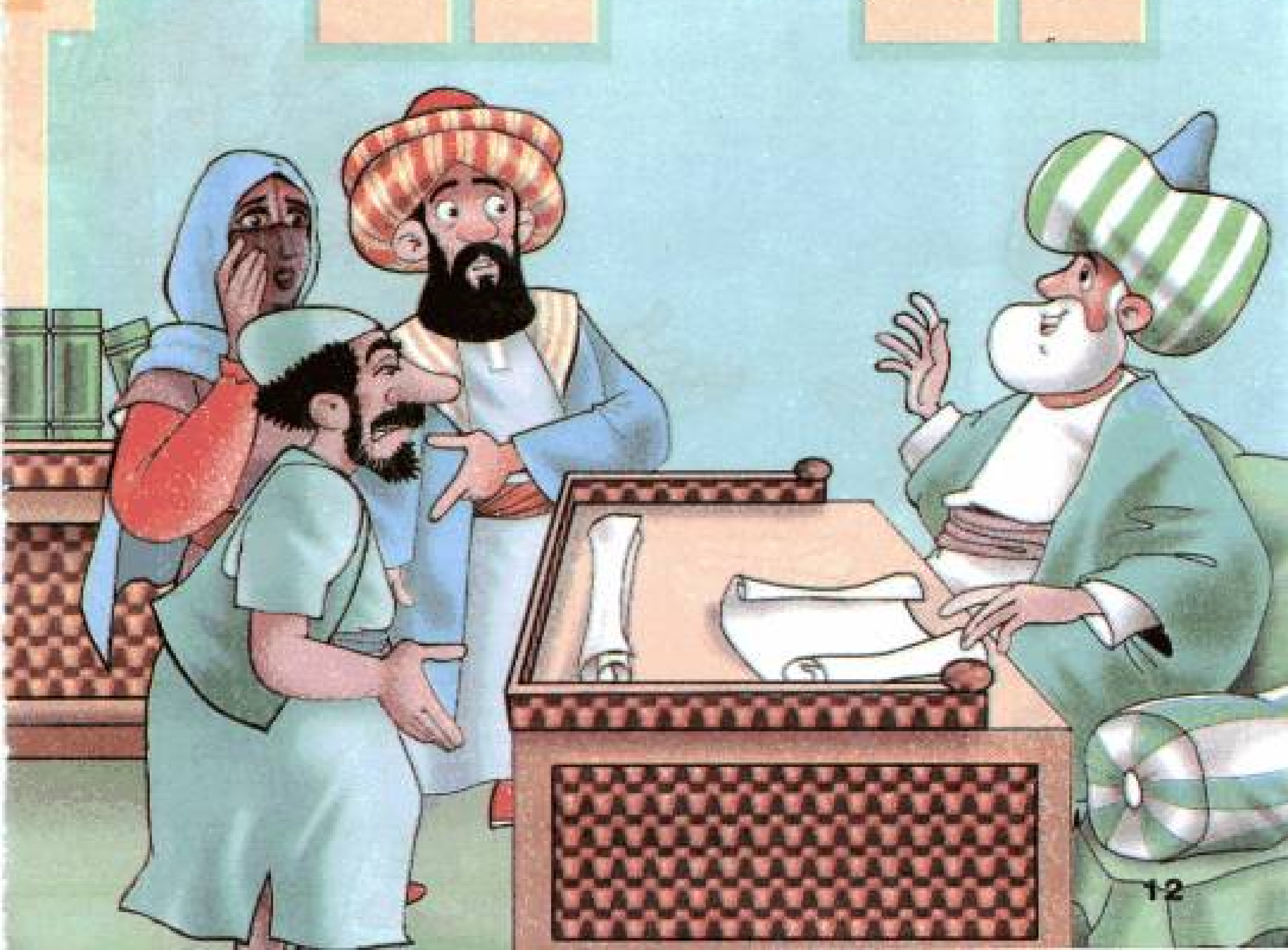
فَقَالَ الزَّبُونُ :

ـ نُقُودِي فِي يَدِي وَأُحْضِرُ شُهُودًا ؟!

فَأَيْنَ الْعَدْلُ إِذَنْ ؟!

فَقَالَ الْقَاضِي :

ـ إِذَنِ اتْرُكَا النُّقُودَ عِنْدِي ، وَمُرَّا عَلَيَّ غَدًا لأَفْصِلَ بَيْنَكُمَا ، وَأَعْرِفَ مَنِ الظَّالِمُ وَمَنِ الْمَظْلُومُ . .



فَتَرَكَ السَّمَّانُ والزَّبُونُ النُّقُودَ عَلَى مِنْضَدَةِ الْقَاضِي وانْصَرَفَا ..

ونَظَرَ القَاضِي إِلَى الْعَالِمِ والْفَلاَّحِ والْجَارِيَةِ قَائِلاً :

ـ وأَنْتُمْ مَا هِيَ قَضِيَّتُكُمْ ؟!

فقَالَ الْعَالِمُ :

ـ هَذِهِ الْجَارِيَةُ اشْتَرَيْتُهَا بِحُرِّ مَالِي مُنْذُ عَامٍ تَقْرِيبًا ، لِتَخْدُمَنِي أَنَا وزَوْجَتِي ، والْيَوْمَ جَاءَ هَذَا الْفَلاَّحُ لِيَزْعُمَ أَنَّ الْجَارِيَةَ جَارِيَتُهُ ، وأَنَّهَا هَرَبَتْ مِنْهُ بِالأَمْسِ فَقَطْ ..



فقَالَ الْقَاضِى :

ـ هلْ معكَ الصَّكُّ الَّذِى اشْتَرَيْتَ بهِ الْجَارِيَةَ منْ سُوقِ الرَّقِيق ؟!

فقَالَ الْعَالِمُ :

ـ لَمْ أشْتَرِهَا مِنْ تَاجِرٍ بِسُوقِ الرَّقِيقِ ، بَلِ اشْتَرَيْتُهَا مِنْ عَابِرِ سَبِيلٍ ، ولَمْ يُعْطِنِى صَكًا ..

فقَالَ القَاضِى :

ـ هلْ لدَيْكَ منْ يَشْهَدُ أنَّ الْجَارِيَةَ جارِيَتُكَ ؟!

فقَالَ الْعَالِمُ :

ـ زَوْجَتِى تَشْهَدُ بِذَلِكَ ..

فقَالَ الْقَاضِى :

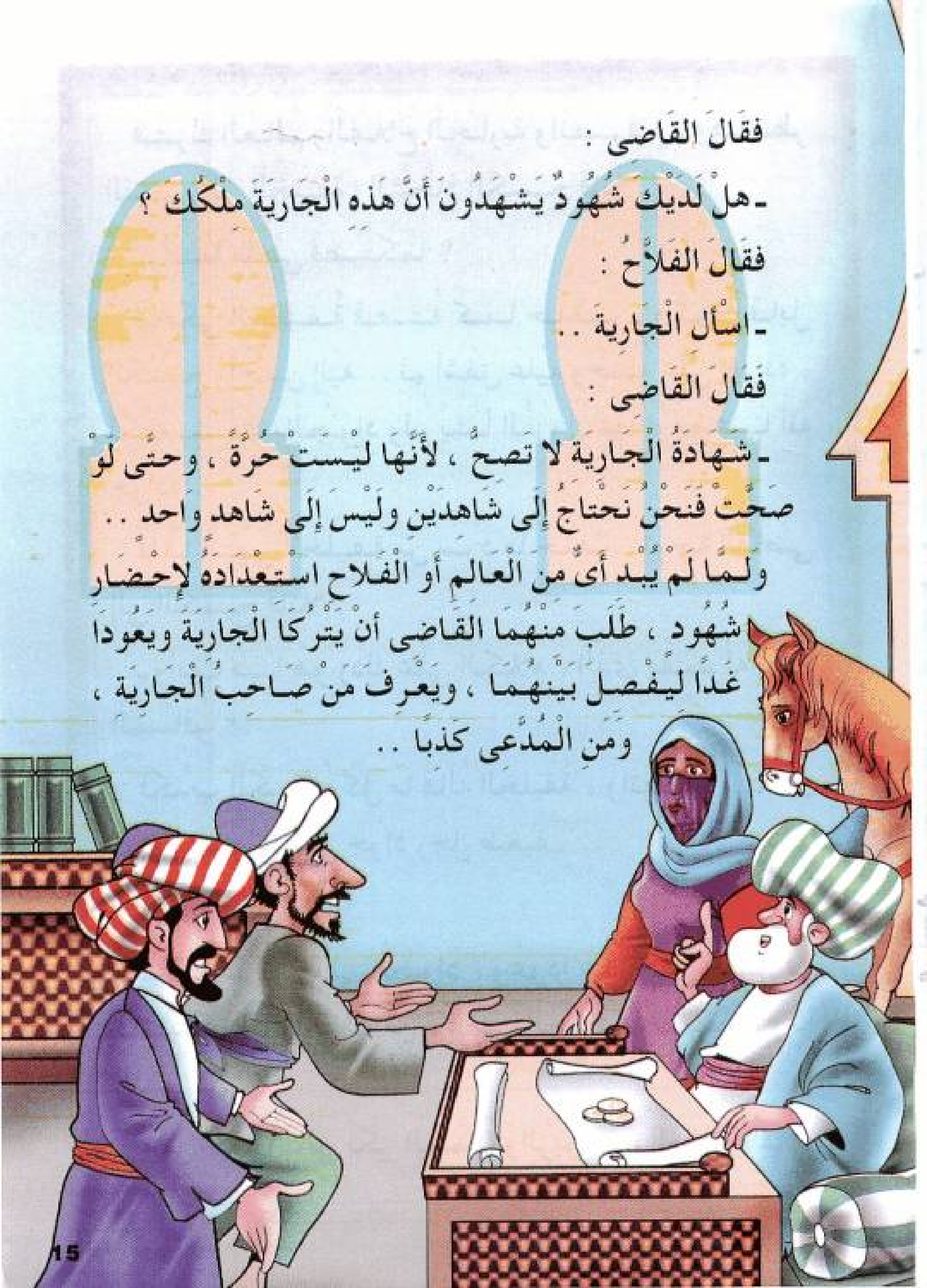
ـ شَهَادَةُ زَوْجَتكَ لا تَصْلُحُ ، لأَنَّهَا سَتَشْهَدُ لِصَالِحِكَ ..

ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى الْفَلاَّحِ قَائِلاً :

ـ وأَنْتَ أيُّهَا الْفَلاَّحُ ، هلْ لَدَيْكَ صَكٌّ يُثْبِتُ أَنَّ هذهِ الْجَارِيَةَ مِلْكُكَ ؟!

فقَالَ الفَلاَّحُ :

ـ بلِ اشتريتُهَا مِنْ عَابِرِ سَبِيلٍ ، وَلَمْ يُعْطِنِى صَكًا ..



فقَالَ القَاضى :

- هلْ لديكَ شهُودٌ يشهَدُونَ أنَّ هذهِ الجَاريَةَ ملْكُكَ ؟

فقَالَ الفلَاحُ :

- اسْأل الْجَارِيةَ ..

فقَالَ القَاضى :

- شهَادَةُ الْجَاريةِ لا تصحُّ ، لأنَّها ليْستْ حرَّةً ، وحتَّى لوْ صحَّتْ فنحنُ نحتَاجُ إلَى شَاهدينِ وليْس إلَى شاهدٍ واحدٍ ..

ولَمَّا لَمْ يبْدُ أيٌّ منَ الْعَالمِ أو الْفَلاحِ اسْتعْدادَهُ لإحْضَارِ شُهُودٍ ، طَلَبَ منهُمَا القَاضى أنْ يتْرُكَا الْجَاريَةَ ويَعُودَا غَدًا ليفْصِلَ بينَهُمَا ، ويعْرِفَ منْ صَاحبُ الْجَاريَة ، ومَنِ الْمُدَّعى كَذبًا ..

فَـتَـرَكَ الْعَـالِمُ والْفَـلاحُ الْجَـارِيَةَ وانْـصـرَفـا ، وهُنَا نَظَرَ القَاضِي إلَى الْخَلِيفَة والشَّحَّاذ الْكَسِيح قَائِلاً :

ـ وأنْتُما مَا هِيَ قَضِيَّتُكُمَا ؟

فَحَكَى الْخَلِيفَةُ قِصَّتَهُ كَمَا حَدَثَتْ ، وكَيْفَ قَابَلَ الْكَسِيحَ وأَحْسَنَ إلَيْه .. ثُمَّ أَشْفَقَ عَلَيْه وحَمَلَهُ عَلَى جَوادِه ، لَكِنَّهُ تَشَبَّثَ بالْجَوَادِ ولَمْ يَشَأْ النُّزُولَ عَنْهُ ، مُدَّعِيـاً أَنَّهُ جَوادُهُ ..

فَلَمَّا انْتَهَى الْخَلِيفَةُ مِنْ سَرْدِ مَا حَدَثَ ، تَوَجَّهَ القَاضِي إلَى الْكَسِيح قَائِلاً :

ـ وأَنْتَ مَـا هُوَ رَدُّكَ عَلَى الْكَلامِ ، الَّذِي يَقُـولُهُ ذَلِكَ الْمُسَافِرُ ؟!

فَكَذَّبَ الْكَسِيحُ كُلَّ مَا قَالَهُ الْخَلِيفَةُ ، واتَّهَمَهُ باسْتِغْلالِ قُوَّته لِيَسْتَولِي عَلَى جَوادِ رَجُلٍ ضَعِيفٍ ..

فَقَالَ القَاضِي :

ـ عُمُومًا اتْرُكَا لِي الْجَوادَ ، وعُودَا غَدًا حَتَّى أَفْصِلَ فِي قَضِيَّتِكُمَا ، وأَعْرِفَ مَنْ صَاحِبُ الْجَوادِ الْحَقِيقِيُّ ، ومَنِ اللِّصُّ ..

وفِي الْيَوْمِ التَّالِي بَكَّرَ السَّمَّانُ والزَّبُونُ ، والْعَالِمُ والْفَلاحُ

والْخَلِيفَةُ والكَسِيحُ ، بالْحُضُورِ إلَى دِيوَانِ الْقَاضِي ..
فَقَالَ الْقَاضِي للسَّمَّان :

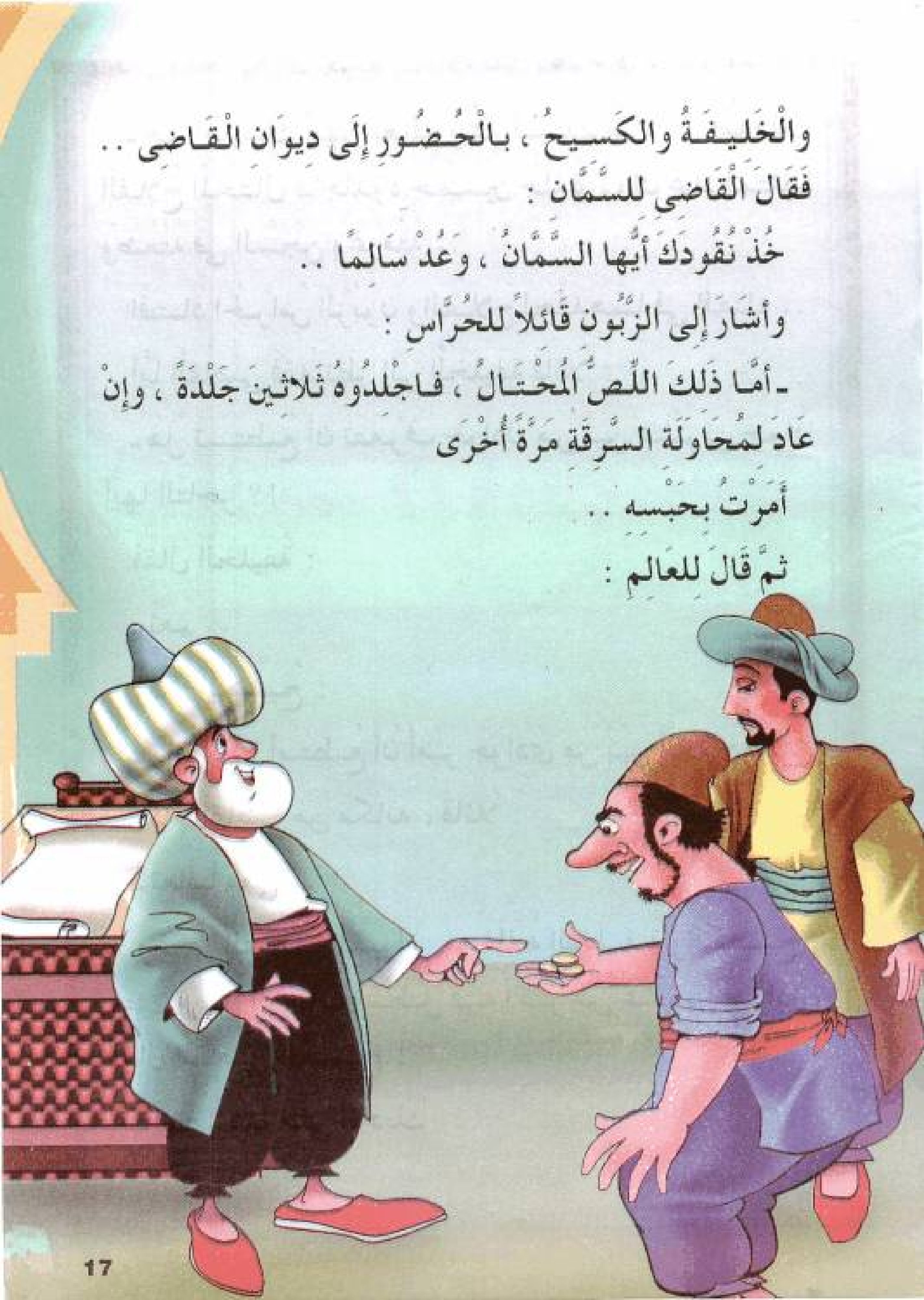
خُذْ نُقُودَكَ أيُّها السَّمَّانُ ، وَعُدْ سَالِمًا ..

وأشَارَ إلى الزَّبُونِ قَائلاً للحُرَّاسِ :

- أمَّا ذَلكَ اللِّصُّ المُحْتَالُ ، فاجْلِدُوهُ ثَلاثِينَ جَلْدَةً ، وإنْ عَادَ لمُحَاوَلَةِ السَّرِقَةِ مَرَّةً أُخْرَى

أمَرْتُ بِحَبْسِهِ ..

ثُمَّ قَالَ للعَالِمِ :



- خُذْ جاريتَكَ أيُّها العالِمُ وعُدْ لبيتِكَ سالمًا .. أمّا ذلك الفلاحُ المحتالُ فاجلدوه خمسين جلدةً ، وإنْ عاد لمثلها وضعته في السجن وغرّمته ..

اقتاد الحرّاس الزبونَ والفلاحَ لجلدهما في الفناء ..

أمّا القاضي فقد نظر إلى الخليفة قائلًا :

- هل تستطيعُ أنْ تتعرّفَ جوادك من بين عشرين جوادًا أيّها التاجرُ ؟!

فقال الخليفة :

- نعم ..

وقال الكسيحُ :

- وأنا أيضًا أستطيعُ أنْ أُميّزَ جوادي من بين ألفِ جوادٍ ..

فقام القاضي من مكانه ، قائلًا :

- تعاليا معي ..

وغادر القاضي الديوانَ ، وخلفه الخليفةُ والكسيحُ ، حتى وصل إلى باب اسطبلٍ فيه أكثرُ من عشرين جوادًا ، فقال القاضي للكسيح :

- انتظرْ هنا حتى أُناديك ..

وأَدْخَلَ الخَلِيفَةَ إِلَى الاسْطَبْلِ قَائِلاً :

ـ ادْخُلْ وتَعَرَّفْ جَوَادَكَ ..

فَدَخَلَ الْخَلِيفَةُ إِلَى الاسْطَبْلِ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى جَوَادِهِ مُبَاشَرَةً قَائِلاً :

ـ هَا هُوَ ذا جَوَادِى أَيُّهَا الْقَاضِى ..

فَطَلَبَ مِنْهُ الْقَاضِى أنْ يَنْتَظِرَ بِالْخَارِجِ .. ثُمَّ أَدْخَلَ الكَسِيحَ قَائِلاً :

ـ ادْخُلْ وتَعَرَّفْ جَوَادَكَ ..

فَتَوَجَّهَ الْكَسِيحُ إِلَى الْجَوَادِ مُبَاشَرَةً وَقَالَ :



ـ هَا هُوَ ذَا جَوادى أيُّهَا القَاضِى .. أَلَمْ أقُلْ لَكَ إنَّنِى أسْتَطِيعُ تَمْيِيزَهُ مِنْ بَيْنِ ألْفِ جَوَادٍ ؟ !

فَابْتَسَمَ الْقَاضِى ابْتِسَامَةً تَنِمُّ عَنِ الرِّضَا ، وتَوَجَّهَ إِلَى الْخَلِيفَةِ قَائِلاً :

ـ خُذْ جَوادَكَ أيُّهَا التَّاجِرُ .. أَمَّا ذَلِكَ الْمُدَّعِى فَاجْلِدُوهُ أَرْبَعِينَ جَلْدَةً ، وإنْ عَادَ لِمِثْلِهَا فَاسْجُنُوهُ ..

فَتَعَجَّبَ الْخَلِيفَةُ ، وَقَالَ لِلْقَاضِى :

ـ عَجَبًا لَكَ أيُّهَا القَاضِى .. كَيْفَ عَرَفْتَ أنَّ الْجَوَادَ جَوادِى ؟ !

فَقَالَ القَاضِى :

ـ بِقُوَّةِ الْمُلاحَظَةِ ..

فَقَالَ الْخَلِيفَةُ :

ـ كَيْفَ ؟ !

فَقَالَ الْقَاضِى :

ـ عِنْدَمَا أدْخَلْتُكَ إلَى الْحَظِيرَةِ تَعَرَّفَتَ الْجَوَادَ ، كَمَا تَعَرَّفَهُ ذَلِكَ الْمُدَّعِى ..

فَقَالَ الْخَلِيفَةُ :

- وَبِرَغْمِ ذَلِكَ حَكَمْتَ بِالجَوَادِ لِي وَلَيْسَ لَهُ ، وَهَذَا مَا يُدْهِشُنِي .

فَقَالَ القَاضِي :

- لَمْ يَكُنْ هَدَفِي أَنْ يَتَعَرَّفَ أَحَدُكُمَا الْجَوَادَ ، بَلْ مَنْ مِنْكُمَا سَوْفَ يَتَعَرَّفُهُ الْجَوَادُ ..

فَقَالَ الْخَلِيفَةُ :

- كَيْفَ ؟!

فَقَالَ القَاضِي :

- عِنْدَمَا اقْتَرَبْتَ أَنْتَ مِنَ الْجَوَادِ صَهَلَ وَمَسَحَ عُنُقَهُ فِيكَ مُعَبِّرًا عَنْ سَعَادَتِهِ بِرُؤْيَتِكَ .. وَعِنْدَمَا تَقَدَّمَ مِنْهُ ذَلِكَ الْمُدَّعِي نَفَرَ مِنْهُ ، وَرَفَعَ قَائِمَتَيْهِ مُسْتَعِدًّا لِمُهَاجَمَتِهِ ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّكَ صَاحِبُهُ ..



ـ وكَيْفَ علمتَ أنَّ السَّمَّانَ هُوَ صاحبُ النُّقُودِ ، لَيْسَ الزَّبُونُ ؟!

فقَالَ القاضي :

ـ كَانَ الأَمْرُ أيسَرَ ممَّا تتصَوَّرُ .. لَقَدِ اعتَمَدتُ عَلَى التَجْرِبَة .. أحضَرتُ كُوبَ ماءٍ ووَضَعْتُ فيه النُّقُودَ لَيْلاً ، وعنْدَما استيقَظْتُ في الصَّبَاحِ ، رأيتُ طَبَقَةً مِنَ السَّمْنِ طافيَةً عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ ..

وبِمَا أنَّ السَّمَّانَ يعملُ في السَّمنِ ، فَلابُدَّ أنْ تكُونَ النُّقُودُ مُلوَّثَةً بالسَّمنِ مِنْ يديه ..

فازْدَادَتْ دهشَةُ الْخليفَةِ وقَالَ :

ـ هذه أروعُ من سَابقَتها .. وكَيفَ علمتَ أنَّ الْعالمَ هُوَ صَاحبُ الْجاريَةِ ولَيسَ الفَلاحُ ؟!

فقَالَ الْقاضي :

ـ اعتَمَدتُ علَى الخبْرَةِ وقُوَّةِ الْمُلاحَظَةِ ..

فقَالَ الْخليفَةُ :

ـ كَيْفَ ؟!

فقَالَ الْقَاضي :

ـ نادَيْتُ الْجَاريَةَ في الصَّباحِ ، وطَلَبْتُ منْهَا أنْ تَمْلأَ لِي

مَحْبرتى ، وأمرتُ زوجتى أنْ تُراقبها من بَعيد فى أثْناء أداء عملها .. فأخذت الجارِيَةُ المحْبَرةَ وغسلتها جيدًا .. ثمَّ جففتها .. ثُمَّ صَبَّتْ فيها الحِبْرَ بسُرعةٍ ومهارةٍ دُونَ أنْ تسكُبَ منه قَطْرةً واحدةً على الأرضِ ، فاستنتجتُ من ذلكَ أنَّها مُتعوِّدةٌ عَلَى القيامِ بمثْلِ هذا العملِ ، وهذا يدُلُّ على أنَّها مُلازمةٌ للعالمِ ، وليس للفلاحِ ..

فقالَ الخليفةُ متهلِّلاً بالفرحِ :

ـ نعمْ أنتَ ، يا منْ تستعملُ ما وهبكَ اللَّهُ من ذكاءٍ وفطْنةٍ ، وخبرةٍ وقُوَّةِ ملاحظةٍ فى إقْرارِ العدْلِ بينَ النَّاسِ ، وتعرُّفِ الظَّالمِ والمظْلومِ . فى غيابِ الأدلَّةِ والشُّهودِ ..

فقالَ القاضى فى تواضُعٍ :



ـ هَذَا تَوْفِيقٌ مِنَ اللَّهِ ..

وهُنَا كَشَفَ الْخَلِيفَةُ عَنْ شَخْصِيَّتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ ، وقَالَ :

ـ أنَا خَلِيفَةُ هذه الْبِلادِ ، وقَدْ سمِعْتُ عن عَدْلِكَ وذَكَائِكَ وحِكْمَتِكَ الكثيرَ ، فَجِئْتُ لأَتَحَقَّقَ من ذَلِكَ بِنَفْسِى .. وقَدْ رأَيْتُ أَكْثَرَ مِمَّا سَمِعْتُ ، فاطْلُبْ ما تشَاءُ لأُكَافِئَكَ بِهِ ..

فقَالَ الْقَاضِى :

ـ إقْرارُ الْعَدْلِ هُوَ مُكَافأتِى ..

(تمَّتْ)



رقم الإيداع : ٢٥١١ / ٢٠٠٢
الترقيم الدولى : ٩٧٧ ـ ٢٦٦ ـ ٧٤٢ ـ ٨